العرب
الإثنين 2021/10/18
السنة 44 العدد 12213

«الطفرة» تجربة جينية تقود إلى نهايات مأساوية

كائن وحشي مهجّن يتمرّد على مطوّريه ويفتك بمن حوله دون هوادة

في المستقبليات التي تعيشها البشرية هناك الذكاء الاصطناعي وعلم الوراثة والجينات وما يتبعه، ممّا عرف بالاستنساخ، وكلها اشتغلت عليها سينما الخيال العلمي وأسبغت عليها أجواءً من الصراع المحموم، بعد أن تتمرّد القوى والقدرات والنماذج التي ابتكرها الإنسان لخدمته، لتصبح عدوّا له، ومن ذلك حروب الروبوت والذكاء الاصطناعي على البشر.

خطر داهم من الخلف

طاهر علوان
كاتب عراقي

يعالج فيلم "الطفرة" للمخرج وكاتب السيناريو سكوت جيفري ثيمة طالما اشتغلت عليها سينما الخيال العلمي، والمتمثلة في صراع الإنسان ضدّ الذكاء الاصطناعي، من خلال إجراء تجارب جينية تفضي إلى إحداث طفرات كبيرة في الكائنات التي يتم إجراء التجارب عليها، وذلك من خلال قيام بيتر (الممثل نك داماس) بإجراء تجارب في منزله بمشاركة زوجته الطبيبة سارا (الممثلة سارا كوهين)، وسوف تنتهي هذه التجارب نهاية مأساوية في القسم الأول من الفيلم بهجوم كائن وحشي على بيتر وافتراسه بطريقة وحشية.

تتحوّل قصة مقتل ذلك الطبيب إلى لغز محيّر لدى الشرطة بعد عجزها عن إيجاد السبب الحقيقي وراء مقتل ذلك الباحث من جهة، ووجود آثار مخالب حيوانية تدل على أن المفترس حيوان وحشي من جهة أخرى، ممّا يدفع أجهزة الشرطة إلى الاستعانة بعالم مختصّ في علم الحيوان، وبهذا النوع من الكائنات ذات المخلب، وهو البروفيسور ألين (الممثل ريكاردو فريتاس) الذي ما يلبث أن يبدأ تحرياته ويتأكّد من أن هناك كائنا وحشيا يقبع في مكان ما، ومن الممكن أن يخرج من مخبئه في أي لحظة لافتراس ضحاياه، وهو ما يدفعه إلى مطالبة الشرطة بأن تعلن نوعا من الإغلاق وتحذّر السكان من هذا الخطر الداهم. لكن الشرطة لن تستجيب لطلب كهذا.

والحاصل أننا أمام دراما يفترض أنها تحمل الكثير من الخوف والترقّب وهي خلاصة يوميات الدكتور ألين ومساعدته في تعقّب ذلك الكائن وجمع عينات قد تدلّ عليه، لكن ذلك المسار الدرامي لا يبدو كافيا لسدّ الثغرات المرتبطة بدوافع الشخصيات، لاسيما مع تداخل دور سارا التي تحوم حولها شبهات الشرطة بأن لها يدا في مقتل زوجها.

وها نحن مع مغامرة وترقّب ودراما مأساوية ما تلبث أن تتكرّر من خلال هجوم ذلك الكائن الوحشي على ضحاياه، فتارة يتم الهجوم في مقهى وتارة أخرى في زاوية معتّمة في طريق ما، وبذلك يتضخّم اللغز المرتبط بالقاتل المفترس وكيف استطاع أن يجد لنفسه مخبأ في مكان ما، وكيف يتربّص بضحاياه، وهو ما يدفع الطبيبة إلى التقرّب من البروفيسور الباحث بدعوى أنها تريد تقديم كافة المعلومات التي قد تسهّل الإمساك بالمفترس، ولكي تقتصّ هي بنفسها منه وذلك انتقاما منها لزوجها.

هذا النوع من الدراما، المرتبطة بتطوير الجينات الكامنة في حيوان ما يلبث أن يخرج عن السيطرة، يتحوّل إلى قضية رأي عام وأزمة كبرى تثبت العجز الكامل عن الوصول إلى أية نتيجة تُذكر. وحتى تجارب البروفيسور واقتفاؤه أثر ذلك الكائن بدَوا شديديْ السطحية وغير مقنعيْن، وبدا دوره غير ذي أهمية كبيرة في السياق الفيلمي، فيما يفترض أنه سوف يستخدم أدواته العلمية للإيقاع بذلك الكائن، وإذا به -وفي مفارقة غريبة- يصبح هو أيضا أحد ضحاياه عندما يهجم عليه الكائن المفترس ويمزّق ظهره دون أن يقتله.

هذه المفارقة تدفع رجال الشرطة إلى المزيد من التدخل من أجل ملاحقة المفترس، لكن المبالغة في المسار الفيلمي تتّجه إلى عجز الجميع عن إلحاق أي ضرر به، فلا ضربه بالرصاص يمكن أن يؤدّي إلى قتله أو جرحه، وكأنه كائن مدرّع لا يؤثّر فيه إطلاق الرصاص، في وقت تقترب فيه سارا من الكائن المفترس وتكون قادرة على قتله، لكنها تعتذر متأسفة لنكتشف في ما بعد أنها هي المسؤولة عن تطوير ذلك الكائن جينيا، ومن ثم تمرّده وخروجه عن السيطرة.

يقدّم الفيلم سلسلة من المشاهد المصنوعة بمستوى ضعيف للغاية، وخاصة المشاهد التي يتسلّل فيها المفترس إلى أحد المطاعم ويجهز على ضحاياه تباعا، فيما الجميع لا يبدو عليهم أي رد فعل من الذعر أو إيجاد طريقة لمواجهته، ثم تشاء الصدف أن يكون ضابط التحقيق في مسألة الكائن المفترس جالسا في المطعم ذاته ويستغرق الأمر منه زمنا حتى يخرج المسدس من الحقيبة، وعندها يجهز عليه المفترس ويقضي عليه بطريقة وحشية.

ويكمل ذلك الإخفاق ضعف استخدام مشاهد الحركة والخدع السينمائية وضعف المونتاج، وكلها أضعفت المسار الفيلمي وجعلت بين هذا الفيلم وأفلام أخرى من هذا النوع فاصلة شاسعة، بل يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك في ما يخصّ المفترس نفسه الذي بدا واضحا أنه مجرّد جلد ورأس حيوان، فيما الذي يقوم بالحركات ممثل من الممثلين وهو أمر معتاد ومشروع إذا تكاملت العناصر الفنية الأخرى لتقديم شخصية مقنعة قائمة على المغامرة والترقّب، وهو ما لا يحصل هنا.

في موازاة ذلك زجّ المخرج بالعديد من الممثلين الذين توزّعت أدوارهم باتجاه الكشف عن القاتل المفترس، لكن ضعف القصة السينمائية والحبكات الثانوية أضعف البناء الدرامي برمته، وبدا هذا الفيلم مجرّد محاكاة مكرّرة لأفلام عديدة من هذا النوع مع أنه حاول الإبقاء على الحد الأدنى من الإثارة لأجل إقناعنا بأننا أمام مغامرة ممتعة ومرعبة في الوقت ذاته، لكنه لم يوفق في الوفاء لتلك المعادلة الصعبة.

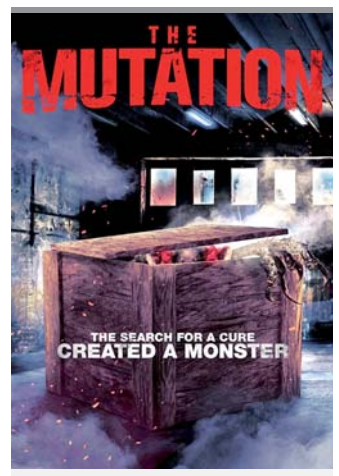

«الطفرة» بدا محاكاة مكرّرة لأفلام عديدة عالجت ثيمة الصراع المحموم بين الإنسان والذكاء الاصطناعي، دون جديد يُذكر

«الشهود».. مسرحية فرنسية تحذّر من تتويج رئيس متطرف

ما مصير دولة القانون والمؤسسات إذا ما استولى على السلطة سياسي ينتمي إلى اليمين المتطرف؟ ذلك ما تحاول الإجابة عنه مسرحية "الشهود" التي تعرض على خشبة "ليزابيس" بباريس، وقد كتبها وأخرجها الفرنسي يان روزو.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

من العروض التي تعالج الوضع الفرنسي الراهن، دون ذكره بالاسم، مسرحية "الشهود" (لي تيموان)، وهو عنوان صحيفة مستقلة، لا يجادل في التزامها بأخلاقيات المهنة أحد، ولكن عندما يفوز مرشح اليمين المتطرف توماس ميرنديان في الانتخابات الرئاسية، يختلف صحافيو التحرير حول أي السبل يختارون.

منهم من يعتبر أن ما أفرزته الصناديق إنما هو تعبير عن إرادة الأغلبية، وتلك قواعد اللعبة الديمقراطية، ولا مناص من قبول نتائجها ولو على مضض، في انتظار الانتخابات المقبلة. ومنهم من يرفض مهادنة رجل عنصري متطرف ينبئ خطابه بأن البلاد في عهده سوف تشهد كوارث في شتى المجالات.

غير أنهم سرعان ما يكتشفون أن الريح تغيّرت وجهتها فعلا، وأنهم صاروا العدوّ الذي ينبغي القضاء عليه، لمجرد أنهم يُحسبون على اليسار، فلم يبق أمامهم إلاّ الصراع ضد تسلط النظام الجديد كي يحافظوا على خطهم التحريري، ويلتزموا بنبل رسالتهم.

ولكن دون الدخول في حرب مباشرة ضدّ الحكام الجدد، حيث تحاول كاترين، مساعدة رئيس التحرير، أن تحافظ على وحدة فريقها الذي يكاد يتفجّر تحت الضغط، مع مواصلة الريبورتاجات الاستقصائية، ومراكمة الملفات التي تدين بعض رموز النظام الجديد، خاصة بعد أن اكتشف أحد صحافييها، سيريل، مشروع عمل إرهابي أعدّته مجموعة إيكولوجية، بينما ساور صحافيًا آخر، هو حسن، شكّ في قيام بلد صديق بتصفية عميل فرنسي.

ولما كانت مصادره ضعيفة فقد عدل عن نشر التحليل الإخباري كي لا تكون مقالته سببا في توتير العلاقات بين البلدين. أما ريبيكا فقد كشفت عن عملية جوسسة اقتصادية ضخمة بطلها أحد مقربي الرئيس الجديد، فيما اكتشف رومان بوادر مقاومة مسلحة، وبات الجميع يخشون انقلابا عسكريا.

> المسرحية تسلّط الضوء على هشاشة النظم الديمقراطية، محذّرة من تنامي صعود الشعبويين إلى سدّة الحكم

والأسئلة التي تطرحها المسرحية هي: أولا، كيف يمكن لصحيفة لها تأثيرها في المشهد الإعلامي والسياسي، أقامت شهرتها على خط تحريري واضح: لا مجال للآراء، بل لنقل الأحداث والوقائع بالدليل الملموس، أن تتعامل مع وضع جديد يديره رئيس من اليمين المتطرف؟

ثانيا، كيف يمكن لشعب يعيش تحت نظام ديمقراطي أن يقبل بإلغاء دستور بلاده وقوانينها وخنق حرياته، من قبل شخص ليس له من زاد سياسي غير الخطب الرنانة عن مستقبل جميل بما فيه الكفاية؟

ثالثا، كيف تستطيع الديمقراطيات أن تحمي نفسها من مثل هذه الانتكاسات، كي لا ترضخ لحكم فردي بيد شخص مريض أو مستهتر أو عنصري يقود البلاد والعباد إلى الدمار، كما فعل هتلر؟

ويان روزو مخرج وكاتب المسرحية يطرح تلك الرهانات المعقدة دون موارية، ويتناولها بشكل مشوّق، ونسق حثيث، ولغة متوتّرة بعيدة عن الخطاب المباشر، ليضع الإصبع على هشاشة النظم الديمقراطية، حيث يكفي أن يصل إلى سدّة الحكم سياسي متطرف، يستعين بأغلبية برلمانية كي يلغي القوانين المعمول بها ويسنّ قوانين جديدة وفق رؤية مخصوصة، ليشبع نزعته الاستبدادية، ويلبّي مطامع أتباعه، لتتحوّل دولة القانون والمؤسسات إلى دولة رعب، خاضعة لأهواء فرد منغلق وأطماع زمرته.

وقد تجنّب المؤلف بحذق الكليشيهات الجاهزة والثنائية المانوية ليأخذ المتفرّج إلى عالم ديستوبي، لا يلوح في أفقه غير كابوس جهنمي، موحيا أن ذلك يمكن أن يحدث في وقت قريب في فرنسا، بدءا برئاسيات الربيع المقبل، مع صعود صحافي يهودي عنصري، يدعى إريك زيمور، يعادي العرب والمسلمين جهارا، ويلقى الحفاوة في وسائل الإعلام اليمينية، من لوفيغارو، وفالور أكتويال، إلى سي نيوز، وبي إف إم تي في، دون أن تتصدّى له النيابة العمومية برغم وجود أحكام في القانون الفرنسي تخوّل لها محاكمته ومنعه من الترشّح لأي انتخابات لمدة لا تقل عن خمس سنوات، وحتى سجنه.

والمسرحية، وإن كانت ديستوبية تحذّر من خطر ممكن حدوثه، تتناوله من منظور مؤسسة صحافية كرمز للسلطة الرابعة؛ حيث ينزل الخبر على "لي تيموان" مثل تسونامي يرجّ كل قائم وينذر بتدميره نهائيا، كي يحل محله عالم جديد قوامه الشوفينية والعنصرية وتغذية الكراهية ومعاداة الأجانب والدعوة إلى استعمال كل الوسائل، بما فيها العنف، لطردهم.

وقد صاغها روزو، تأليفا وإخراجا، بفنية عالية، وبلغة خالية من الثرثرة، فأشاد بها كل النقاد، ودعوا صراحة كل عشاق المسرح إلى مشاهدتها، خصوصا أنها "جاءت في وقتها"، أي أنها تتحدّث عن حدث لم يعد محض خيال استشرافي، بل بات خطرا وشيكا يطرق أبواب فرنسا.

طرح صادم لمجموعة من القضايا السياسية الحارقة

جان دوبوفيه والفن الخام

فاروق يوسف
كاتب عراقي

يُقام في مركز باربيكان بلندن معرض استعادي للرسام الفرنسي جان دوبوفيه (1901 – 1985). هذا الرسام الذي أقام أول معرض له وهو في الثالثة والأربعين من عمره كان له موقف مضاد لكل الجماليات التي انتهى إليها الرسم في الغرب.

ذلك ما يسّر له الولوج إلى عالم غرائبي مادته الطفولة والجنون وسواهما من الأوضاع الإنسانية المهمشة التي لا تتحكّم بالمركز، ولا تملك القوة التي تؤهلها للسيطرة على الوضع البشري.

كان يقول "لم أعد أعتبر التأليف بين الألوان ودمجها من أجل نيل إعجاب المُشاهد عملا نبيلا. ولو كان الرسم مرتكزا على مثل هذا التأليف لما أضعت وقتي في مثل هذا النشاط"، ذاك موقف مناقض لمبدأ الشعور بالراحة الذي ينطوي عليه مفهوم الجمال في مختلف العصور.

وهو ما دفع الرسام إلى استعمال الطين والفحم والحصى والإسمنت والإسفنج والشحم والصحف القديمة والرمل والقطران والخشب موادَّ بديلة لمواد الرسم التقليدية.

ما بين عامي 1947 و1949 سافر دوبوفيه ثلاث مرات إلى الصحراء الجزائرية، حيث استلهم من جمال الطبيعة هناك ما سدّد خطاه في الوصول إلى طريقته الخاصة في الرسم أو ما سُمي بالفن الخام.

ذلك المفهوم الذي هو مزيج من السلوك التقني والموقف الاجتماعي المستند في أساسه إلى رؤية ثقافية وسياسية رافضة لكل المسلمات التي تحصر الفن في إطار التعامل مع مواد فنية بعينها من أجل الوصول إلى نتائج بصرية مريحة من جهة، ومن جهة أخرى توجيه الفن إلى فئات اجتماعية معينة وحصره بها واحتكاره من قبلها وحرمان فئات اجتماعية أخرى منه.

كان الرسم بالنسبة إلى دوبوفيه رسالة مزدوجة الهدف. فهو ضدّ الفن كما تعلّمه المدارس وتتبنّاه النظريات الجمالية، وهو في الوقت نفسه ضدّ التقسيمات التعسفيّة التي تضع المهمشين في قائمة الميؤوس منهم ثقافيا والمحرومين من المشاركة في تفكيك عناصر البنية الاجتماعية وإعادة تركيبها.

فن دوبوفيه نداء حميمي إلى الروح قبل أن يكون خطابا بصريا موجها إلى العين. وهو في ذلك يهبنا فرصة للتعرّف على مواقع وصل إليها الخيال البشري من غير أن تكون جزءا من الخارطة الاجتماعية.

فن جان دوبوفيه نداء حميمي إلى الروح